



«ذكر معنى النفاق وأنواعه»

تعريف النفاق:

اختلف علماء اللغة في أصل النفاق، ف قيل: إن ذلك نسبة إلى النفق وهو السرب في الأرض، لأن المنافق يستر كفره ويغيبه، فتشبه بالذي يدخل النفق يستتر فيه.

وقيل: سمي به من نافقاء اليربوع، فإن اليربوع له جحر يقال له: النافقاء، وآخر يقال له: القاصعاء، فإذا طلب من القاصعاء قصع فخرج من النافقاء، كذا المنافق يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي يدخل فيه، وقيل: نسبة إلى نافقاء اليربوع أيضاً، لكن من وجه آخر وهو إظهاره غير ما يضمّر ذلك: أنه يخرق الأرض حتى إذا كاد يبلغ ظاهر الأرض ترك قشرة رقيقة حتى لا يعرف مكان هذا المخرج، فإذا رابه ريب دفع ذلك برأسه، فخرج، فظاهر جحره تراب كالأرض، وباطنه حفر، فكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر^(١).

(١) انظر: لسان العرب ١٠/٣٥٨، ٣٥٩، المفردات للراغب ٥٠٢.

ولعل النسبة إلى نافقاء اليربوع أرجح من النسبة إلى النفق، (لأن النفق ليس فيه إظهار شيء، وإبطان شيء آخر، كما هو الحال في النفاق، وكونه مأخوذاً من النافقاء باعتبار أن المنافق يظهر خلاف ما يبطن أقرب من كونه مأخوذاً منه باعتبار أنه يخرج من غير الوجه الذي دخل فيه، لأن الذي يتحقق فيه الشبه الكامل بين النافقاء والنفاق هو إظهار شيء وإخفاء شيء آخر، إضافة إلى أن المنافق لم يدخل في الإسلام دخولاً حقيقياً حتى يخرج منه)^(١).

أما النفاق في الاصطلاح الشرعي، فهو إظهار القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد^(٢)، أو هو الذي يستتر كفره ويظهر إيمانه، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وإن كان أصله في اللغة معروفاً كما سبق^(٣).

ويقول ابن رجب رحمه الله: (النفاق الأكبر وهو: أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه)^(٤).

وأساس النفاق الذي بني عليه: أن المنافق لا بد أن تختلف سريرته وعلا نيته، وظاهره وباطنه، ولهذا يصفهم الله في كتابه بالكذب،

(١) المنافقون في القرآن الكريم د. عبدالعزيز الحميدي ص ١٣.

(٢) انظر: عارضة الأخوذي ٩٧/١٠.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث ٩٨/٥ ولسان العرب ٣٥٩/١٠.

(٤) جامع العلوم والحكم ص ٤٣٠، ط. دار المعرفة.

كما يصف المؤمنين بالصدق، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، وقال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، وأمثال هذا كثير^(١).

إذاً: أخص وأهم ما يميز به المنافقين الاختلاف بين الظاهر والباطن، وبين الدعوى والحقيقة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، قال الإمام الطبري رحمه الله: (أجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآيات نزلت في قوم من أهل النفاق، وأن هذه الصفة صفتهم)^(٢).

وقد يطلق بعض الفقهاء لفظ الزنديق على المنافق، قال شيخ الإسلام رحمه الله: (ولما كثرت الأعاجم في المسلمين تكلموا بلفظ (الزنديق) وشاعت في لسان الفقهاء، وتكلم الناس في الزنديق: هل تقبل توبته؟ والمقصود هنا أن (الزنديق) في عرف هؤلاء الفقهاء، هو المنافق الذي كان في عهد النبي ﷺ، وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره، سواء أأبطن ديناً من الأديان: كدين اليهود والنصارى أو غيرهم، أو كان معطلاً جاحداً للصانع والمعاد والأعمال الصالحة...) ^(٣).

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٦٢٠ / ٧.

(٢) تفسير الطبري ٢٦٨ / ١.

(٣) الإيهان الأوسط ص ١٣.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في بيان مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم: (الطبقة الخامسة عشرة): طبقة الزنادقة، وهم قوم أظهرُوا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنُوا الكفر ومعاداة الله ورسوله، هؤلاء هم المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار^(١).

أنواع النفاق

ينقسم النفاق من حيث الحكم على المتلبس به إلى نوعين:

- النفاق الأكبر: ويسمى بالنفاق الاعتقادي.
- النفاق الأصغر: ويسمى بالنفاق العملي.

النوع الأول: النفاق الأكبر (النفاق الاعتقادي)

وصاحبه مخلد في الدرك الأسفل من النار، لخروجه من الملة بإبطانه الكفر وإظهاره الإسلام.

ويمكن اختصار تعريفه بما ذكره الحافظ ابن رجب، حيث قال رحمه الله: (النفاق الأكبر هو: أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ونزل القرآن بدم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك

(١) طريق المهجرتين ص ٥٩٥.

الأسفل من النار)^(١)، ومن الآيات في تكفيرهم ومصيرهم في الآخرة قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، وقوله ﷻ: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [التوبة: ٦٨]، وقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّارُ جَهْدًا الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطُ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمُ جَهَنَّمُ وَيَنسُ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَخْلِفُونَ بِاللّٰهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أَوَّاهٌ لِّمَن يَنَالُوا﴾ [التوبة: ٧٣ - ٧٤]، وقوله عن طائفة من المنافقين: ﴿لَا تَعْزِدُوهُمْ فَلَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

فهذه الآيات تبين لنا أن المنافقين من أسوأ أنواع الكفار، ومصيرهم في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، لأنهم زادوا على كفرهم، الكذب والمراوغة والخداع للمؤمنين، ولذلك فصل القرآن الحديث حولهم وحول صفاتهم؛ لكي لا يقع المؤمنون في حبالهم وخداعهم.

ذكر بعض الصور للنفاق الأكبر:

أولاً: ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعض هذه الصور، فقال: فمن النفاق ما هو أكبر، يكون صاحبه في الدرك الأسفل

(١) جامع العلوم والحكم ص ٤٣١. وانظر مقال: (النفاق حقيقة أنواعه وصوره) للدكتور محمد الوهيبي مجلة البيان.

من النار، كنفاق عبد الله بن أبيٍّ وغيره، بأن يظهر تكذيب الرسول أو جحود بعض ما جاء به أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المسرة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك: مما لا يكون صاحبه إلا عدوًّا لله ورسوله، وهذا القدر كان موجودًا في زمن رسول الله ﷺ وما زال بعده، بل هو بعده أكثر منه على عهده^(١).

ونقل هذه الأنواع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فقال: (... فأما النفاق الاعتقادي فهو ستة أنواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول، أو بغض الرسول أو بغض ما جاء به الرسول، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية بانتصار دين الرسول، فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار)^(٢).

وعلق الدكتور محمد الوهبي على هذين النقلين، فيقول: (فيتحصل مما ذكره هذان الإمامان بعد دمج الأنواع المتشابهة أو المتقاربة خمس صفات أو أنواع هي:

١ - تكذيب الرسول ﷺ، أو تكذيب بعض ما جاء به.

٢ - بغض الرسول ﷺ أو بغض ما جاء به.

(١) مجموع الفتاوى ٤٣٤ / ٢٨.

(٢) مجموعة التوحيد ص ٧.

٣- المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ، أو الكراهية بانتصار دين الرسول ﷺ.

٤- عدم اعتقاد وجوب تصديقه فيما أخبر.

٥- عدم اعتقاد وجوب طاعته فيما أمر.

وبالنظر إلى الآيات التي ذكرت أحوال المنافقين، وكلام المفسرين حولها، يمكن أن يضاف إلى هذه الصفات صفات أخرى، وهي:

٦- أذى الرسول ﷺ أو عيبه ولمزه.

٧- مظاهرة الكافرين ومناصرتهم على المؤمنين.

٨- الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين لأجل إيمانهم وطاعتهم لله ولرسوله ﷺ.

٩- التولي والإعراض عن حكم الله وحكم رسوله ﷺ.

فالوقوع في أي صفة من هذه الصفات يخرج من الملة^(١).

وسياتي شرح بعض هذه الصفات في مبحث صفات المنافقين إن شاء الله تعالى.

وما أكثر ما نلاحظ بعض هذه الصفات في منافقي زماننا اليوم من الرافضة وبعض الساسة والإعلاميين، ممن يسمون

(١) عن مقال (النفاق حقيقته - أنواعه) مجلة البيان، العدد ٨٢.

أنفسهم بالليبراليين والعلمانيين، حيث الإعراض والتولي عن حكم الله ﷻ ورسوله ﷺ، ومظاهرة الكافرين على المؤمنين، والمصرة بهزيمة الإسلام وأهله، والكراهة لانتصار دين الرسول ﷺ وحزبه الموحدين.

ويبين شيخ الإسلام رحمه الله هذا النفاق عند الرافضة الباطنية، ويصور حالهم أحسن تصوير، فيقول: (... فالرافضة يوالون من حارب أهل السنة والجماعة، ويوالون التتار، ويوالون النصاري، وقد كان بالساحل بين الرافضة وبين الفرنج مهادنة، حتى صارت الرافضة تحمل إلى قبرص خيل المسلمين وسلاحهم، وغلمان السلطان، وغيرهم من الجند والصبيان، وإذا انتصر المسلمون على التتار أقاموا المآتم والحزن، وإذا انتصر التتار على المسلمين أقاموا الفرح والسرور، وهم الذين أشاروا على التتار بقتل الخليفة، وقتل أهل بغداد، ووزير بغداد ابن العلقمي الرافضي هو الذي خامر على المسلمين، وكاتب التتار، حتى أدخلهم أرض العراق بالمكر والخديعة، ونهي الناس عن قتالهم، وقد عرف العارفون بالإسلام: أن الرافضة تميل مع أعداء الدين...) (١).

ويتحدث في موطن آخر عن نفاق وزندقة رؤوس الجهمية والرافضة، فيقول: (فإن هاتين الفرقتين هما أعظم الفرق فسادًا في

(١) مجموع الفتاوى ٢٨ / ٦٣٦، وانظر ٢٨ / ٤٣٥.

الدين، وأصلهما من الزنادقة المنافقين، ليستا من ابتداع المتأولين، مثل قول الخوارج والمرجئة والقدرية، فإن هذه الآراء ابتدعها قوم مسلمون بجهلهم، قصدوا بها طاعة الله، فوقعوا في معصيته، ولم يقصدوا بها مخالفة الرسول ولا محادثه.

بخلاف الرفض والتجهم، فإن مبدأهما من قوم منافقين مكذبين لما جاء به الرسول مبغضين له، لكن التبس أمر كثير منهم على كثير من المسلمين، الذين ليسوا بمنافقين ولا زنادقة، فدخلوا في أشياء من الأقوال والأفعال التي ابتدعها الزنادقة والمنافقون، ولبسوا الحق بالباطل، وفي المسلمين سماعون للمنافقين، كما قال الله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] ^(١).

وعن هذه الصورة من النفاق عند منافقي زماننا يقول الدكتور عبدالعزيز كامل حفظه الله تعالى:

(لا نستطيع أن نرجع ذلك السلوك المعادي للدين وأهله عند مؤسسات النفاق المعاصر وكياناته وأدواته المعبرة عنه في الصحافة والإعلام والفكر العلمانيين إلا لسبب واحد هو: (كراهية ما أنزل الله)؛ ذلك السبب الذي تتفرع عنه أسباب أخرى كالاستكبار، وتقديم الهوى، وإيثار الدنيا، وسوء الظن، وفساد الطوية؛ فكراهية ما

(١) انظر: الصواعق المرسلة ٤/ ١٤٠٣.

أنزل الله خلق دائم للكافرين، وتبعهم فيه المنافقون بدرجات تتفاوت بحسب دركات النفاق عندهم.

فعندما تمرض القلوب بالشهوات أو الشبهات أو بهما معاً، تفسد تلك القلوب، وينتج عن فسادها انحراف في الفطرة، وانكفاف في البصيرة، فيصبح المرء محباً لما أبغض الله، ومبغضاً لما أحب الله، وقد يبلغ هذا البغض والكره حدّاً من الغلو يصل بالمرء إلى أن يكره كل داع إلى الله وكل دعوة إلى سبيل الله؛ بل يكره أن يذكر أمامه شيء يذكره بالله ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]، فلا عجب ممن هذه أحوالهم أن نرى البغضاء قد طفحت من قلوبهم على ألسنتهم، لتعبر عن مدى كراهيتهم لدين الله وشرعه والمتمسكين به والمنافحين عنه والمضحين في سبيله، ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]، يكفيك أن تطالع الأعمدة اليومية والأسبوعية لكثير من أعمدة النفاق، لترى مصداق ذلك من أقوام جل همهم فيما يتقيئون على أوراق الصحف والمجلات أن يحزن الذين آمنوا وألا ينقلب المؤمنون بأهليهم إلى سلامة أبداً، وألا يمكن الله لهم دينهم الذي ارتضى لهم أو يبذلهم من بعد خوفهم أمناً... صحيح أن كراهية ما أنزل الله عمل قلبي، ولكن آثاره تنعكس على المواقف في صور شتى، مثل تلك السياسات الثابتة في الصد عن سبيل

الله، ومحاربة أولياء الله، والطعن في شريعة الله، أو السماح بذلك عن طريق إفساح المجال لكل مستهزئ بشعائر الله، متهمهم على حدود الله، ساع في أذى المؤمنين بأنواع الأذى؛ إنها صور شتى تعكس آثار الكراهية الواضحة لما أنزل الله ﷻ^(١).

ثانيًا: النفاق السياسي

إن مما يلحق بالنفاق الأكبر ما يسمى اليوم في عالم السياسة (بالنفاق السياسي) أو النفاق الدولي، وهذا النوع من النفاق يصدر من فئتين من الدول:

الفئة الأولى: دول الكفر والطغيان، وعلى رأسها أمريكا ودول الغرب الذين زادوا على كفرهم بالله تعالى ورسوله ﷺ.

انغماسهم في حمأة النفاق والدجل والخداع والمواقف المتناقضة حتى افتضحوا - والحمد لله - بين الناس، وتعرى نفاقهم للمسلمين، وعرف القاصي والداني أن الباعث لهم في مواقفهم كرههم للإسلام، ومصالحهم التي يستमितون في تحقيقها، ولو على حساب احتلال البلدان وتدميرها وسفك دماء أهلها، ثم تدعي في الوقت نفسه أنها تحارب الإرهاب، وتسعى لنشر الحرية والسلام والأمن في هذه الدول

(١) عن مقال (رايات النفاق والحرب المعلنة على الإسلام)، مجلة البيان، العدد (١٧٣) (باختصار).

المعتدي عليها!! فأبي نفاق ودجل أكبر من هذا النفاق والدجل . يقول
الدكتور عبد العزيز كامل حفظه الله تعالى:

(والجدل الدائر حول التساؤل عن طبيعة الحرب الأمريكية، وهل هي ضد الإرهاب أم ضد الإسلام؛ إنما هو في حقيقته مجرد جدل (بزنطي)، سبق أن أثير مرات عديدة كلما حورب الإسلام وأهله، تحت أي ذريعة من الذرائع. وإلا فأين هي أمريكا وحلفاؤها من محاربة الإرهاب اليهودي في فلسطين، ومحاربة الإرهاب الهندوسي في كشمير، والإرهاب الروسي في الشيشان، والإرهاب النصراني في الفلبين وإندونيسيا وغيرها من بلدان المسلمين؟! ثم أين هو الإرهاب عند الجماعات التي عدتها أمريكا إرهابية، وهي تدافع دفاعاً مشروعاً عن حقوقها الإنسانية والدينية في فلسطين ولبنان وكشمير والشيشان والفلبين؟ إن حرب أمريكا المعلنة على الإسلام قد شملت كل طائفة مسلمة مضطهدة، تنافح عن دينها وأرضها وعرضها في مشارق الأرض ومغاربها، وشملت كل مظهر من مظاهر التمسك بما تبقى من عرى الإسلام في الحكم والتحاكم، والشعائر والشرائع، والإعلام والتعليم، فهي حرب (المواجهة الشاملة)^(١)

(١) عن مقال (رايات النفاق والحرب المعلنة على الإسلام) مجلة البيان. العدد (١٧٣).

والحقيقة التي يشهد لها التاريخ أن السياسة الأمريكية لا تعترف بمبدأ ولا تشريع كما تدعيه وتروجه، وليس ثمة إلا مصلحة أمريكا، بل مصلحة أصحاب الأموال فيها، لا سلام ولا عدالة ولا حقوق إنسان ولا عهود دولية. إنها مجرد واجهات تحتكرها الآلة السياسية الأمريكية وتركبها للتمكين للديانة الجديدة، فالسياسات المعلنة شيء وما تخفيه وتخطط له شيء آخر، ويمكن تسميتها بسياسة ذي وجهين التي نفيها إثبات وإثباتها نفي. وهي سياسة الكيل بمكالين التي تظهر ما لا تبطن.

الفئة الثانية: كثير من الدول التي تنتسب إلى الإسلام وتوافق مع شعوبها المسلمة، وتظهر لهم حبها للإسلام ومقدساته، وتخاذعهم بإظهار العناية بالمواسم الإسلامية: كالأحتفال بعيد المولد وليلة النصف من شعبان والهجرة والإسراء والمعراج، وتظهر عداؤها لليهود أو الغرب والشرق، وهم في الباطن عملاء للشرق أو الغرب، قد والوهم من دون المسلمين، ونبذوا شريعة الله ﷻ وراءهم ظهرياً، وحكموا في أديان الناس وأنفسهم وعقولهم وأعراضهم وأموالهم بحكم الطاغوت والقانون، الذي يستحلون فيه ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله ﷻ، ولقد انخدع بهم كثير من الناس، ردحاً من الزمن، ولكن ها هم اليوم يتعرون ويفتضحون، وتظهر خباياهم وفساد طوياتهم ونفاقهم للناس بعد هذه النوازل والابتلاءات التي تمر بها أمة الإسلام.

ونفاق الحاكم لرعيته ينعكس في العادة على نفاق المحكوم لحاكمه، فكما تدين تدان.

وعلى سبيل المثال لهذه الدول لا الحصر: دول الرفض الباطنية كدول إيران المجوسية، وسوريا النصيرية القرمطية، فلقد قدر الله ﷻ الأحداث الأخيرة في سوريا والعراق، ليفضحهم ويبين نفاقهم وكذبهم للناس، الذين كانوا مخدوعين بهم وبما يظهرونه من دفاعهم عن الإسلام، وزعمهم أن عداءهم وحرهم على اليهود والأمريكان، وتسميتهم أنفسهم بدول الممانعة، وأبى الله ﷻ إلا أن يفضحهم، ويخرج نفاقهم، وفي ذلك خير عظيم ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ﴾ [محمد: ٢٩].

مسألة:

في الفرق بين تقية الروافض الباطنية وبين التقية الشرعية، التي ذكرت في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

ذلك أن تقية الروافض الباطنية هي النفاق الاعتقادي، حيث يبتنون الكفر ويظهرون الإسلام تقية حال تمكن أهل السنة.

أما التقية المأذون بها شرعاً، فهي إبطان الإيمان وإظهار الكفر تحت الإكراه، كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

ثالثاً: النفاق الوطني

وهذا النوع من النفاق ينتشر بين شريحة كبيرة من الليبراليين والنفعيين أصحاب الشهوات والأهواء، الذين يتشدقون بحب الوطن ومصالح الوطن، وهم في الحقيقة أعداؤه بما يسعون به من إفساد دين الوطن ونشر الفساد وإشاعة الفاحشة بين المؤمنين، وإفساد أعراضهم وأمن نفوسهم وعقولهم وأموالهم، قال الله ﷻ في وصفهم: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧]، وقال أيضاً عنهم: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]، ووصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١ - ١٢]، وسيأتي التوسع في شرح هذه الصفات في فصل قادم إن شاء الله.

النوع الثاني: النفاق الأصغر (النفاق العملي)

قال ابن رجب رحمته الله: (النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك)^(١).

وقد نبه النبي ﷺ على هذا النوع في أحاديث كثيرة، كقوله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»^(٢).

وقوله: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن، كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(٣).

فهذه خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال، ولكنه ليس على كفرهم اعتقاداً وباطناً.

وقد يجتمع نفاق العمل مع أصل الإيمان، ولكن إذا استحکم وكمل فقد ينسلخ صاحبه عن الإسلام بالكلية^(٤).

(١) جامع العلوم والحكم ص ٤٣١.

(٢) رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٤٦/٢) شرح النووي.

(٣) البخاري (٣٤)، مسلم (٤٦/٢) شرح النووي.

(٤) كتاب الصلاة وحكم تاركها لابن القيم ص ٥٩.

قال الإمام الذهبي عقب حديث «أربع من كن فيه»: (وفيه دليل على أن النفاق يتبع بعض ويتشعب، كما أن الإيمان ذو شعب ويزيد وينقص، فشعب النفاق كلها من الكذب والخيانة والجور والغدر والرياء وطلب العلم ليقال، وحب الرئاسة والمشخة، وموادة الفجار والنصارى، فمن ارتكبها كلها وكان في قلبه غل للنبي ﷺ أو حرج من قضاياه، أو يصوم غير محتسب أو يجوز أن دين النصارى أو اليهود دين مליح ويميل إليهم، فهذا لا ريب في أنه كامل النفاق، وأنه في الدرك الأسفل من النار، فإن كان فيه شعبة من نفاق الأعمال فله قسط من المقت حتى يدعها ويتوب منها)^(١).

يشرح الإمام النووي رحمه الله حديث: «أربع من كن فيه..» فيقول: (هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلاً من حيث إن هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك، وقد أجمع العلماء على أن من كان مصداقاً بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر، ولا هو منافق يخلد في النار، فإن أخوة يوسف عليه السلام جمعوا هذه الخصال، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله، وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله تعالى إشكال، ولكن اختلف العلماء في معناه، فالذي قاله المحققون والأكثرون وهو

(١) سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٦٢ باختصار.

الصحيح المختار، أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال، ومتخلق بأخلاقهم، فإن النفاق إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعدته وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس، لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر. ولم يرد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار، وقوله ﷺ: «كان منافقاً خالصاً» معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال، قال بعض العلماء هذا فيمن كانت هذه الخصال غالبية عليه، فأما من ينذر ذلك منه فليس داخلياً فيه، فهذا هو المختار في معنى الحديث...^(١).

وقال الإمام الخطابي رحمه الله: (هذا القول إنما خرج على سبيل الإنذار للمرء المسلم، والتحذير له أن يعتاد هذه الخصال، فتفضي به إلى النفاق، لا أن من بدرت منه هذه الخصال، أو فعل شيئاً من ذلك من غير اعتياد أنه منافق^(٢)).

وقال أي الخطابي: (ويدل عليه التعبير بإذا، فإنها تدل على تكرار الفعل)^(٣)، وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال: (والأولى ما قاله الكرمانى:

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٤٦/٢.

(٢) شرح السنة ٧٦/١.

(٣) فتح الباري ٩٠/١.

إن حذف المفعول من (حدّث) يدل على العموم، أي إذا حدث في كل شيء كذب فيه، أو يصير قاصداً، أي إذا وجد ما هية الحديث كذب، وقيل محمول على من غلبت عليه هذه الخصال وتهاون بها واستخف بأمورها، فإن من كان كذلك كان فاسد الاعتقاد غالباً^(١)، وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله بعدما شرح هذه الخصال: (وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية، كما قال الحسن...) ^(٢).

وهذا هو النفاق الذي خافه الصحابة رضي الله عنهم على أنفسهم.

يقول ابن رجب رحمه الله: (ولما تقرر عند الصحابة رضي الله عنهم أن النفاق هو اختلاف السر والعلانية خشي بعضهم على نفسه أن يكون إذا تغير عليه حضور قلبه ورقته وخشوعه عند سماع الذكر، برجوعه إلى الدنيا والاشتغال بالأهل والأولاد والأموال أن يكون ذلك منه نفاقاً، كما في صحيح مسلم عن حنظلة الأسدي أنه قال: لقيني أبو بكر، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة يا أبا بكر، نكون عند رسول الله ﷺ، يذكرنا بالجنة والنار كأننا رأي عين، فإذا رجعنا، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً، قال أبو بكر: فالله إنا لكذلك، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ، فقال: (ما لك يا حنظلة؟ قال: نافق حنظلة

(١) فتح الباري ١/ ٩١.

(٢) جامع العلوم والحكم ٤٣٣.

يا رسول الله. وذكر له مثل ما قال لأبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: «لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي، لصافحتكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ^(١) ^(٢).

ومما ورد في خوف الصحابة من النفاق ما قاله ابن أبي مليكة: (أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل) ^(٣).

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله في تعليقه على هذا الأثر: (والصحابه الذين أدركهم ابن أبي مليكة من أجلهم عائشة وأختها أسماء وأم سلمة والعبادلة الأربعة وأبو هريرة وعقبة بن الحارث والمسور بن مخرمة، فهؤلاء ممن سمع منهم، وقد أدرك بالسن جماعة أجل من هؤلاء: كعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال، ولم ينقل من غيرهم خلاف ذلك، فكأنه إجماع، وذلك لأن المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشعر به مما يخالف الإخلاص، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى ﷺ) ^(٤).

(١) مسلم (٢٧٥٠).

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٤٣٤.

(٣) رواه البخاري معلقاً (فتح الباري ١/ ١٠٩).

(٤) فتح الباري ١/ ١١١.

وخلاصة القول في النفاق العملي أنه نوع من الاختلاف بين السريرة والعلانية مما هو دون الكفر، وذلك كالرياء الذي لا يكون في أصل العمل، وكالخصال الواردة في شعب النفاق، وينبغي أن لا ننسى أن النفاق العملي إذا استحكم في الإنسان وصار غالباً عليه قد يؤدي به إلى النفاق القلبي الاعتقادي عياداً بالله تعالى، قال الله ﷻ: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧].

صور أخرى من صور النفاق العملي:

أولاً: ما يعرف اليوم بالنفاق الاجتماعي: وقد سرى هذا النوع من النفاق في كثير من أبناء الأمة على مختلف شرائحها. وهو مصداق ما جاء على لسان الرسول ﷺ في قوله: (تجدون شر الناس ذي الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه) ^(١). وهذا النوع من النفاق له صور منها:

١ - النفاق الاجتماعي الذي يكون في شرائح المجتمع بعضهم مع بعض: وهو ما يقوم به بعض الناس من التلون في كلامه وأفعاله ومعاملاته، حيث يظهر الحب والود وحرصه على مصلحة الناس، وهو في الباطن ضد ذلك، بما يحمله في قلبه من الحسد

(١) البخاري (٣٤٩٤)، مسلم (٢٥٢٦).

والحق قد وحب الشر للناس، أو يظهر الغم والحزن على مصاب أخيه المسلم، وهو في الباطن فرح شامت، أو يظهر الثناء والمدح في وجه من يداهنه، فإذا غاب عنه ذمه وذكر مثالبه، وكانتشار الكذب وإخلاف الوعد والخيانة ونقض العقود والعهود والفجور في الخصومات بين الناس.

مسألة:

هل مجاملة الناس من النفاق؟ الجواب - والله أعلم - أن يقال:

المجاملة نوعان:

الأول: نوع مدموم يدخل في النفاق العملي، ألا وهو المداهنة وحفظ الدنيا على حساب الدين، كمداهنة الفساق والعصاة والسكوت على منكراتهم أو تحسينها ليصل بذلك إلى مصلحة دنيوية.

الثاني: نوع ممدوح: وهو مداراة من يخشى بطشه أو يخشى انحرافه، حتى يحفظ بذلك دينه، أو يكف الفساد عن نفسه وعرضه. أي أنه يداري ليحفظ دينه ولو على حساب ديناه.

٢- النفاق الاجتماعي: الخاص بوجهاء الناس من علماء أو أغنياء أو أمراء أو ساسة وحكام.

وأكتفي في وصف هذا النوع من النفاق بما كتبه الشيخ عائض القرني في مقال له بعنوان (النفاق الاجتماعي) حيث قال: (أصبح لكل رمز ديني أو سياسي أو وطني بطانة، يمارسون معه لعبة التضليل والتملق والمديح المزيّف، فشيخ العلم لديه أتباع من المحبين والمعجبين، يخلعون عليه صفات الكمال، ويوهّمونه بأنه بركة العصر والدهر وشبيه البحر، وأن الله نفع بعلمه العباد والبلاد، وأن كتبه وفتاويه ودروسه شرّقت وغرّبت، فيصدق المسكين ويقع في الفخ، ويصاب بداء العجب والتهيه.

والسياسي عنده بطانة تقتات بكلمات الإطراء ومقامات الشناء الممجوج، وتوهمه بأنه الملهم وقلب الأمة النابض ومحبوب الجماهير، وتذكر له أحلامًا منامية كاذبة، تدل على صلاحه وعدله وإيمانه واستقامته، وتخبره هذا البطانة أن العجائز في البيوت يدعون له، وأن الشيوخ والأطفال يعيشون على حبه، وأن عدله وصل الجميع وبره وجوده عم الكل، (فيتورط) في دهاليز العلو في الأرض والتكبر على عباد الله والتجبر على الأمة.

والأعيان من العسكريين والتجار والمشاهير لهم جلاس وسمار، يمارسون معهم لعبة الضحك على الذقون وتمويه الحقائق، ويعطونه صورة خاطئة عن الواقع، ليكسبوا الخطوة لديهم، وينالوا شرف

صحبتهم، ويتزوا أموالهم، فإذا غابوا عنهم سلقوهم بالسنة حداد شداد، فإذا أتيت تريد المكاشفة والصدق والوضوح والشفافية ضاع صوتك بين الأصوات، وصرت ثقيلاً، وأصبحت نشازاً، فتضطر على الرغم من أنفك للمشاركة في حفل تأبين الضمير وفي جنازة موت الحقيقة، وهذا يدل على الغثائية التي وصلت إليها الأمة.

أما كان الأعرابي يحاور عمر ويناقشه وهو على المنبر؟ أما طلب عمر من الناس تيسير المهر وعدم المغالاة في الصداق، فقامت امرأة من آخر المسجد فقالت لعمر: يا عمر كيف تريد تقليل المهر، والله تعالى يقول: ﴿وَأَتَيْتُمُ إِحْدَنَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء: ٢٠]، فصاح عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

نحن لا نطلب من الناس سوء الأدب مع الرموز الدينية والسياسية والوطنية وسائر الناس، ولا التجريح ولا التشهير، ولكن نطالب الجميع بالكف عن هذا النفاق الاجتماعي وحجب الحقائق، وإدخال هذه الرموز في نفق مظلم من الوهم.

يقول الحسن البصري: (تولى الحجاج العراق وهو عاقل كيس، فما زال الناس يمدحونه حتى صار أحق طائشاً سفيهاً)، فلما ضعف الوازع الديني عند الأمة وقل الصدق، أكثرت من ألقاب المديح وصفات التزلف، بعدما كان الصحابة في عصر الخيرية والقيادة

والريادة ينادي بعضهم بعضاً، فيقولون: يا أبا بكر، يا عمر، يا عثمان، يا علي، وهم قد فتحوا القلوب والأسماع والأبصار والبلدان بالإيمان والعدل والسلام، ولكن الرئيس العربي ركب على صدره النياشين، وعلى أكتافه النجوم، وفي الشوارع أقواس النصر، وهو لم يتصر في معركة واحدة، بل إن أجزاء من بلاده تحتلها إسرائيل.

إن تمويه الحقائق على الرموز وصناع القرار والمؤثرين معناه ضياع البلاد والعباد، فهؤلاء المملقون والمتزلفون من البطانة همهم أنفسهم، وهم الذين يحملون شعار (كل شيء على ما يرام)، فتجد الشيخ مثلاً عنده أخطاء كبرى ومغالطات عظيمة، لكن بطانته يصبون قوله وفعله، حتى يوصلوه إلى درجة العصمة، فيبقى على خطئه، ويستمر على أوهامه، والسياسي تحجب عنه حقائق الوطن والناس تحت مظلة (الناس مرتاحون، ويدعون لكم، وهم في أرغد عيش وأحسن حال)، فيعطل اهتمام الوالي بأحوال الناس وحاجاتهم، وتنحدر البلاد في التخلف والفقر؛ لأن هذه العصبة قد ضمنت مصالحها، واطمأنت لمستقبلها، فلا يعنيتها حال أحد من البشر.

فينبغي أن تخلع الأقنعة السوداء عن وجوه هذه البطانة، التي تحف بالوالي والعالم والوجيه والرمز؛ ليرى الأمور كما هي، وتوضح له الأشياء على حقيقتها، ويتخذ القرار المناسب والقول المناسب

والرأي المناسب في الوقت المناسب، وبإمكانك أن تسأل كل بطانة متنفذة نفعية عن الرمز الذي تحف به، فسوف تسمع من التقديس والغلو والإطراء ما تنفر منه الأسماع، وتشمئز منه الطباع، ويورث الرأس الصداع^(١).

ومما يلحق بهذا النوع من النفاق ما يصدر من بعض العلماء المفتين الذين يتقربون بفتواهم إلى أهل الدنيا من حكام أو وجهاء أو عامة، من أجل وجاهة اجتماعية أو دنيا زائلة.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: العلماء ثلاثة:

١ - عالم الملة: وهو الذي ينشر دين الإسلام، ويفتي بدين الإسلام عن علم، ولا يبالي أوافق أهواء الناس أم لم يوافق.

٢ - عالم الدولة: وهو الذي ينظر ما تريد الدولة، فيفتي بما تريد الدولة، ولو كان في ذلك تحريف لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

٣ - عالم الأمة: وهو الذي ينظر ما يرضي الناس. إذا رأى الناس على شيء أفتى بما يرضيهم^(٢).

وسياتي في فصل قادم إن شاء الله تعالى تفصيلاً لبعض مظاهر النفاق الاجتماعي، الذي تغل في حياتنا، وأصابها بالخلل أو الشلل.

(١) نقلاً عن موقع (أنا المسلم).

(٢) شرح رياض الصالحين ٤/ ٣٠٧.

ثانيًا: النفاق الاقتصادي:

وهذا النوع من النفاق ينتشر بين تجار الأموال والمستثمرين، ولا سيما أصحاب البنوك التي تدعي أنها إسلامية ونزيهة، ولا تظهر في تعاملاتها الظاهرة شيئًا من التعاملات الربوية، أو البيوع المحرمة، وتزعم أنها تنطلق في تعاملاتها من هيئة شرعية تستفيها في هذه المعاملات.

هذا فيما يظهر للناس، أما المعاملات الباطنة والحوالات البنكية الدولية والتعامل مع البورصات والأسهم، فشيء آخر، فيه من المعاملات المحرمة ما لا يعلمه كثير من الناس.

ويلحق بهؤلاء أصحاب الحيل، التي يستحلون بها الربا باسم الشرع كبيوع العينة.

ثالثًا: النفاق الإعلامي:

الإعلام بمجالاته المختلفة - إلا ما رحم الله ﷻ - يكاد يكون كله بوقًا للمنافقين، يخدعون به الناس، ويلبسون عليهم، وينشرون من خلاله فسادهم وسمومهم وشبهاتهم.

وليس هو المعني في هذه الفقرة، وإنما المعني هنا بعض المنابر الإعلامية من مسموعة أو مقروءة، أو مرئية، التي تدعي أنها إسلامية

قامت لنشر تعاليم الإسلام ومحاربة الأفكار الضالة، ولكنها في حقيقة الأمر تنشر الباطل والشبهات، وتلبس الحق بالباطل، وتخدع الناس باسم الإسلام والدين.

فهي أشبه بمسجد الضرار الذي بناه المنافقون في عهد رسول الله ﷺ، إرصاداً لمن حارب الله ورسوله وتفرقاً بين المؤمنين.

